Journal of Language Studies Vol.8, No.8, 2024, Pages (76-90)
DOI: https://doi.org/ 10.25130/Lang.8.8.5

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية
ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

The art of wills in Arabic literature Amer bin Al-Darb Al-Adwani is a model of the art of commandments in Arabic literature Amer bin Al-Darb Al-Adwani is a model

Amany Kanan Kudair*
Tikrit University
amany.k.kudair@tu.edu.iq

Received:1\6\2024, **Accepted:** 30\7\2024, **Online Published: 31 / 8/ 2024**

Abstract

Praise be to God, Lord of the worlds, and may blessings and peace be upon His servant, His Messenger, His friend, and His trustworthy one, our Prophet and Master Muhammad and his family and all his companions, as for what follows Ancient Arabic literature, with its poetry and prose, received many studies that wrote down many of its literary phenomena and revealed many of its literary figures who had a prominent role in the process of literature in that era. From here was born the desire to participate and contribute to presenting literary research on the literature of that era. ; Being the foundation upon which the literature of later eras was based, and since prose represented one of the two parts of literature in the pre-Islamic era, the study dealt with the personality of Amer bin Al-Darb, who was one of the writers of that era and who was known to be one of the people of wisdom and opinion, and he had literary productions in prose and poetry. We have discussed one of its prose aspects, which is the wills in Arabic

* **Corresponding Author**: Amany Kanan Kudair**, Email:** amany.k.kudair@tu.edu.iq
Affiliation: Tikrit University - Iraq
© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

literature by Amer ibn al-Darb, as a model. In the study, we have explained the wills linguistically, terminologically, and its place in the arts of prose according to the literary eras from the pre-Islamic era to the Abbasid era, and we have shown the most important artistic characteristics of this art. In addition, we have discussed in it a definition. About the personality of Amer bin Al-Tarab and an example of one of his commandments regarding his people, the people of Adwan, and we summed up a conclusion and some of the sources and references that we relied on in the research .

فن الوصايا في الأدب العربي
عامر بن الظرب العدواني انموذجاً

م. د. أماني كنعان خضير

جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الإنسانية

الـمستخلـص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على عبده ورسوله وخليله وأمينه نبينا وسيدنا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين، أما بعد:

حظي الأدب العربي القديم بشعره ونثره بكثير من الدراسات التي تناولت عدداً من ظواهره الأدبية ، وأماطت اللثام عن كثير من شخصياته الأدبية التي كان لها دور بارز في مسيرة الأدب في ذلك العصر، ومن هنا ولدت الرغبة في المشاركة والمساهمة في تقديم بحث أدبي عن أدب ذلك العصر؛ كونه الأساس الذي قام عليه أدب العصور اللاحقة ، ولما كان النثر يمثل أحد شقي الأدب في عصر ما قبل الإسلام ، فقد تناولت الدراسة شخصية عامر بن الظرب الذي كان من أدباء ذلك العصر، والذي عرف عنه أنه من أهل الحكمة والرأي، وكان له نتاج أدبي نثري وشعري، وقد تناولنا جانبا من جوانبه النثرية وهي الوصايا في الأدب العربي عامر بن الظرب أنموذجاً بيّنا في الدراسة الوصية لغة واصطلاحا ومكانتها في فنون النثر بحسب العصور الأدبية من عصر ما قبل الإسلام إلى العصر العباسي وبينا أهم الخصائص الفنية لهذا الفن ، فضلاً عن ذلك تناولنا فيه تعريفا عن شخصية عامر بن الظرب ونموذجا من إحدى وصاياه في قومه أهل عدوان، وأجملنا البحث بخاتمة وبعض المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في البحث.

الكلمات الدالة : الوصية– الأدب– عامر بن الظرب – العدواني– النصح

أولا: الوصية لغة واصطلاحاً:

يقول ابن فارس (ت395هـ) الواو والصاد والحرف المعتل:((أصل يدل على وصل شيء بشيء . ووصيت الشيء : وصلته . ويقال : وطئنا أرضا واصية " ، أي إنّ نبتها متصل قد امتلأت منه . ووصيت الليلة باليوم : وصلتها ، وذلك في عمل تعمله والوصية من هذا القياس ، كأنه كلام يوصي أي يوصل)) (ابن فارس) (ابن فارس ،6/ 116).

وفي لسان العرب ان اوصى الرجل ووصّاه : عهد اليه ، وتواصى القوم : أي: أوصى بعضهم بعضاً ، وفي الحديث استوصوا بالنساء خيرا فإنهنّ عندكم عوان (ابن منظور:15/ 320-321).

أما في الاصطلاح فقد قدم أسامة بن منقذ (ت584هـ) أقدم تعريف حول مصطلح الوصية بقوله:((الوصية وصيتان : وصية الأحياء للأحياء ، وهي أدب وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وتحذير من زلل ، وتبصرة بصالح عمل ووصية الأموات للأحياء عند الموت – بحق بجب عليهم أداؤه ، ودين يجب عليهم قضاؤه . وقد أمرنا بالوصية بذلك عند الموت في الكتاب العزيز ، والأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)) (اسامة بن منقذ ،1، 1354هـ).

فالوصايا تعدُّ فناً مهماً من فنون النثر الأدبي ، وهي تكشف عن عقلية المجتمع وعن أفكاره واهتماماته ، ومثله وآماله ، وتكشف أيضا عن كثير من ظروف المجتمع السياسية والاجتماعية والدينية وقد عرفت الوصايا في الأدب الجاهلي ، غير أن ما حفظ لنا من هذه الوصايا لم يكن كثيرا ، فقد وصل إلينا كثير من الشعر الجاهلي وقليل من النثر ، وعلَّل مؤرخو الأدب ذلك بسهولة حفظ الشعر وشيوعه على الألسنة ، ووجدت الوصايا في أدب صدر الإسلام وفي العصور الآتية له (احمد امين مصطفى:5، د.ت).

وللوصية مكان مميز بين فنون النثر ، لذا عدها مؤرخو الأدب فنا قائما بذاته إذ يقول الدكتور عمر فروخ مثلاً عن النثر في عصر ما قبل الإسلام : " ومن أوجه النثر في الجاهلية : الأمثال ، والوصايا ، وسجع الكهان " (عمر فروخ: 1/ 89، 1981م)،والوصية تختلف عن الخطبة من وجوهٍ عديدة ، ولاسيما في مسألة البناء الشكلي والفني ، وقد وضع بعض الدارسين حداً بين الوصية والخطبة ، فقد قال الدكتور عمر فروخ " وأمّا الوصايا فهي من باب الخطب ، إلا أن الخطبة تقال في الحفل المجتمع ، بينما الوصية تقال للفرد " (عمر فروخ: 1/ 89، 1981م) ، فهي تأتي من باب النصح والإرشاد لأنها تعبر عن صدق العاطفة ، ونجد أن هذه الوصايا تتنوع بين الدينية والاجتماعية والسياسية.

الوصايا في عصر ما قبل الإسلام :

كانت معظم توجيهات العرب قبل الإسلام تتمحور حول توجيهات الآباء لأبنائهم أو زعماء القبائل وأولياء الحكمة لشعوبهم، يقدمون مجموعة من تجارب الرجل التي يحملها لأبنائه وأقاربه في حياته بعد أن اختبر الحياة بكل ما فيها من سعادة ومصاعب ، ويوصيهم بتكريم الجار، وحماية النساء، ومساعدة المحتاجين، واحترام الضيف، والتواضع أمام الناس، ويعبر الموصي عن رغبته في الاستقرار وحبه للبقاء، حيث يمنحهم خلاصة تجربته الطويلة ومعرفته المتنوعة، ويعيش من خلال هؤلاء الأحباء الذين يسعون لتشكيل حياتهم على النحو الذي يرضيه ويستمد ذلك من أفكاره الحية، حتى بعد وفاته وزواله، لذلك يزودهم بالثمرة الفكرية التي اكتسبها من تفاعله مع مجتمعه (محمد التمر :211، د.ت)، وقد وصلت إلينا أعداد كبيرة من الوصايا ، موزعة في بطون عيون كتب الأدب كالبيان والتبيين للجاحظ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، والمعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني(ت250هـ)، والكامل للمبرد وكتاب الأمثال للمفضل الصبي ، وأبي هلال العسكري ، والميداني ، والزمخشري وغيرهم ، هذا فضلاً عمّا فقد من هذه الوصايا ، ولعل السبب في تلك الكثرة يعود إلى طبيعة العامل الديني والنظام الاجتماعي، إذ كانت الوصية مرتبطة بالمناسبات الاجتماعية للقبيلة ، حتى عند زواج الابناء ولهذا كثرت هذه الوصايا كثرة تلك المناسبات في حياة العربي ضمن عالم قبيلته (محمد التمر :211، د.ت)، أما عن مضمون الوصايا في عصر ما قبل الإسلام فإنّ الناظر في هذه الوصايا يجد أن غرضها الأساسي إنساني صِرْف معبِّر عن تجارب الإنسان.

أما من ناحية الشكل فقد امتازت الوصية في عصر ما قبل الإسلام بما يأتي (صلاح الدين الهادي:199، 1987م):

1. قصر الجمل غالبا فهي تذهب مذهب المثل .
2. كثرة الأمثال والحكم في وصاياهم .
3. غلبة الإيجاز عليها ، وتحليتها ببعض أساليب التخيّل والتصوير القريبة المأخذ ، البعيدة عن الغموض والمبالغة ، المنبعثة عن فطرة، وذلك ليسهل حفظها وتداولها.
4. الانسياب على اللسان ببديهة وارتجال شأنها شأن خطبهم ، وهكذا تعكس الوصية الجاهلية الطابع الفني العام للخطبة الجاهلية ، ولا تكاد تفارقها في شيء.
5. البعد عن الألفاظ البدوية الخشنة .
6. غلبة السجع عليها ليسهل حفظها وتداولها.

أما **في عصر صدر الإسلام:**

فقد بلغت الوصية أوجها وقفزت إلى الصدارة ببزوغ فجر الإسلام ، وبلغ الخط البياني للوصايا في بداية عصر الإسلام ذروته وتأثرت بمفاهيم الدين الإسلامي الحنيف ، واتخذت لها منه موارد عذبة تنهل منها وتصدر عنها ؛ إذ تغيرت حياة العرب بمبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، واهتدوا بهديه وغدا القرآن الكريم المثل الأعلى في الوصايا التي تتضمن صلاح الدنيا والآخرة ؛ فمن الوصايا ما ينظم علاقة العبد بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان ، وعلاقته بأخيه المسلم ، و علاقته بزوجه وعائلته، بل إن الدين الحنيف ما ترك أمرا إلا وجّه المسلمين فيه الوجهة القويمة (ينظر: حذيفة عبدالله عزام:15-16، 2007م) .

وأما من ناحية الشكل والمضمون فالوصية تشبه الخطبة، ويغلب على أكثرها الطابع الديني ، ومعانيها وعبارتها وغرضها وأسلوبها يحمل خصائص الخطبة الدينية المتأثرة بالإسلام لأنها صيغت بمجموعة من الإرشادات الأخلاقية والمعاني الحكيمة المستمدة من تجارب الحياة العربية البسيطة (ينظر: صلاح الدين الهادي:203-204)،وقد اختلفت مضامين الوصية في هذا العصر وقد دارت في خمسة محاور منها الوصية الدينية أولا، والوصية السياسية والحربية والاجتماعية ثانيا، فكل هذه الوصايا تختلف في موضوعاتها لكنها تجتمع على هدف واحد وهو الإخلاص (ينظر: محمد علي التمر:218)، وهو إخلاص النصيحة للموصى ولا سيما أنها كانت تكتب عن طريق المحادثة والمشافهة .

وأمّا الوصايا في العصر العباسي :

فلا يخلو الأدب العربي في عصر من العصور من أدب الوصايا ، فعند حدوث الاضطرابات نرى حرص رؤساء الدول على تثبيت دعائم دولتهم ، فيوصون قادتهم وولاتهم وشعوبهم ، ويحذو رجال الدولة حذو رؤسائهم ، ولا تقتصر هذه الوصايا على النواحي السياسية ، بل تتعداها إلى النواحي الاجتماعية والدينية، ويحرص هؤلاء الرؤساء على إعداد أبنائهم ليخلفوهم فيكثرون من وصاياهم حتى ينشأ أبناؤهم متكاملين يجمعون إلى الذكاء السياسي سموا خلقيا (ينظر: احمد امين مصطفى:31).

وفي فترات التغيير يحرص رجال الدولة وعلى رأسهم الخلفاء على إظهار التمسك بشعائر الدين وأكابر العلماء ، فنراهم يفتحون صدورهم لسماع وصايا العلماء ، وقد يحسُّون بالضيق من توجيه هذه الوصايا اليهم ، ولكنهم قليلا ما يظهرون التبرم بهم ، وإنّ وصايا العلماء للخلفاء بالتمسك بتعاليم الدين ازدهرت في أوائل العصر العباسي ثم انحسرت مع تقدم الزمن وضعف الشعور الديني (ينظر: احمد امين مصطفى:31).

وجاءت معظم الوصايا في القرنين الثاني والثالث الهجري موجزة تعرض الأفكار عرضاً مباشراً إلى توصيل الأفكار واستيعابها والاقتناع بها ، وقد تحتوي هذه الوصية على فكرة واحدة أو أكثر من فكرة لكن هدف الموصي هو تفصيل هذه الأفكار، ومن أشهر الوصايا الأدبية وصية بشر بن المعتمر التي تعدُّ من الوصايا التي وضعت أسس البلاغة العربية (ينظر:المصدر نفسه:79، 173)، ومعظم الوصايا في القرن الرابع تأتى ضمن رسائل مطولة ، وتأتي هذه الرسائل راسمة الطريق الذي يجب أن يتبع في معاملة الرؤساء ، وقد تجمع بين الأمر بالتقوى والأمر بالطاعة لأمير المؤمنين ، وهكذا كانت هذه الرسائل بدافع من الرؤساء أو بدافع من الصداقة والوفاء ، وأحيانا بدافع الشماتة (ينظر:المصدر نفسه:65).

فبشر بن المعتمر يوصي الأديب باختيار ساعة نشاطه وفراغه بقوله :((خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك ، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً ، وأشرف حسبا ، وأحسن في الأسماع ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطاء ، وأجلب لكل عين وغرّة ، من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أنّ ذلك أجدى عليك ممّا يعطيك يومك الأطول ، بالكد والمطاولة والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاودة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، وخفيفاً على اللسان سهلاً ؛ وكما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه)) (الجاحظ:1/ 129، 1998م).

إنّ أهم الخصائص التي يمكن ملاحظتها في الوصايا (ينظر: احمد مصطفى امين: 166، 229) :

1. طبع الأفكار والمعاني بطابع ديني سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو دينية من قريب أو بعيد .
2. غلبة سمة العاطفة على الوصايا في القرنين الثاني والثالث الهجري لأنها صادقة وفي هذين القرنين كان يسود الصدق وعدم التكلف .
3. تميز أسلوبها بالسهولة والوضوح ، وذلك لأن الموصي يهدف قبل كل شيء إلى الوعظ والتأثير.
4. التصوير في الوصايا من أهم الأساليب وضوحاً ، وذلك راجع إلى اهتمام الموصي بالمعنى وتوصيله إلى الموصى ، وتعدد الصور البيانية من استعارة وكناية وتشبيه لكثرة دورانها على الألسنة .
5. ورود الفنون البيانية والبديعية والسجع الذي يتلاءم مع جو الوصية .

التعريف بشخصية عامر بن الظرب :

1-اسمه ونسبه :

اسمه حرثان وهو عامر بن الظرب (ينظر: الزركلي 3/ 252، ابن منظور: 8/ 250) بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار (ينظر:ابو جعفر: 135، 1942م) ولقب بذي الحلم (ينظر: الزركلي: 3/ 8)، ولقب أيضا بعدوان لأنه عدا على أخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينة (ينظر: الشريف المرتضى العلوي: 1/ 244، 1954م)، وقيل إنه اشتهر بهذا اللقب "تمسكا بشهرة قبيلته ، وقد عرف في أصولنا كلها بذي الأصبع ، وهو لقب اتصل به حين نهشت الأفعى إبهام رجله فقطعتها ، وقيل : شلت، وقيل : كانت له أصبع زائدة" (المصدر نفسه)، وعامر منسوب إلى جده الرابع عدوان ، وعدوان هو الحارث بن عمرو بن قيس، ومن قبائل عدوان بنو يشكر وبنو دوس ابنا عدوان (ينظر: ابن حزم: 243- 244)، وهما قبيلتان مشهورتان ، وعرف عن هذه القبيلة كثرة العدد وعظم الشأن، وهي حقاً كذلك ، لأنه من الصعوبة بمكان أن يكون عامر بن الظرب حكماً في العرب، وقاضياً لهم، ونافذ القول فيهم، في الجاهلية ، ما لم يكن منتمياً إلى قبيلة عظيمة الشأن، كثيرة الأبناء متسعة الأفخاذ والبطون وروي أن لعدوان ما يزيد على أربعين ألف غلام، وفي رواية أخرى سبعين ألف غلام.

2-**سيرته:** يعد عامر بن الظرب من أبرز شعراء قومه في العصر الجاهلي وبخاصة في قبيلته حيث كان حكيماً، وخطيباً، ورئيساً للجاهليين، كان إماماً لمضر وحاكها في سوق عكاظ، وفارسها، وممن حرم الخمر في الجاهلية وكانت العرب لا تعدل بفهمه فهما، ولا بحكمه حكما ولا تتجاوز قراراته ، وهو أحد المعمرين في الجاهلية ولم يدرك الإسلام قيل إنه عمره ثلاثمائة سنة أو أكثر (ينظر: الزركلي: 3/ 252)، وقال في ذلك (محمد علي العدواني: 13):

تقول ابنتي لما رأتني كأنني سليم أفاع ليلة غير مودع

وما الموت أفناني ولكن تتابعت علي سنون من مصيف ومربع

ثلاث مئين قد مررن كواملا وها انا هذا ارتجي مر أربع

فأصبحت مثل النسر طارت فراخه إذا رام تطيارا يقال له : قع

اخبر أخبار القرون التي مضت ولابد يوما أن يطار بمصرعي

لقب بـ(ذي الحلم) لسعة علمه وحلمه وفهمه حتى قال الشاعر فيه إن العصا قرعت لذي الحلم (ينظر: الزركلي: 3/ 252)، وقد كان حكيما عادلا ، يعده الإخباريون من قدماء حكام العرب وأئمتهم، الذين تحاكم إليهم الناس، وصارت أحكامهم سنة يتبعونها، وذلك لمكانته العالية وذيوع شهرته ، وسعة اطلاعه ، وعدالة حكامه ، اتخذته العرب قاضيا عليها ، وحكما لها بعكاف ، ورضيت بما قضى فيه فلا تكون بينها نائر ولا عضلة في قضاء إلا أسندوا ذلك إليه ، حتى فضّلوه على كنانة (سلمى بن نوفل) ، لأنه كان في الفهم والفطنة بمنزلةٍ أذعن له بها العرب (ينظر:رسول محمود حسن، 40).

3- وفاته :

كانت وفاته نحو عام(25ق هـ-595م) (عمر فروخ: 1/ 182)، وقيل نحو عام(22) (محمد العدواني: 14)

4- نموذج وصية عامر بن الظرب لقومه :

ذكرنا سلفا أن عامر بن الظرب العدواني حكيم وخطيب جاهلي وهو من أشراف قومه , وكان القوم يأتونه ليفصل بينهم في الخصومات. لما عرف عنه من شدة ذكائه وحكمته وعلمه ونباهته في الحكم ، وله كثير من الوصايا لابنه وابنته ، وقد اخترنا وصيته لقومه لما أحس بهم من ألم .

***مناسبة النص** ذكرت الأخبار أن عدوان كانت قبيلة كبيرة تفرقت وتفانت ، وذلك أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني الحارث بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عياذ بن يشكر بن عدوان فاقتتلوا, فقتل بنو ناج ثمانية نفر فيهم عمير بن مالك سيد بنو عوف, وقتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر وتفرقوا على حرب ، وكان الذي أصابوه من بني وائلة بن عمرو بن عمرو بن عياذ، وكان سيدا فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها, ورضوا بذلك, وأبى جرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية , واعتزل هو وبنو أبيه , ومن أطاعهم ومن والاهم وتبعه على ذلك كرب بن خالد احد بني عبس بن ناج. فمشى إليهما ذو الإصبع العدواني الشاعر والحكم المعروف , وسألهما قبول الدية , وقال: قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية , وقتل منكم رجل فاقبلوا ديته, فأبيا ذلك, فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تفانوا وتقطعوا((ينظر:عبد الوهاب محمد علي العدواني:10) .

أثرت هذه الحادثة كثيرا في نفس عامر بن الظرب العدواني كونه أحد أفراد هذه القبيلة , بل كان شيخها وخطيبها وحكمها فكان ألمه مريرا ، ومعاناته كبيرة وهو ينظر إلى قومه يتحاربون ويزهقون

أنفسهم على غير سبب يستحق, ولا يردعهم تنبيه ، فرأى عامر أن الأمر يحتِّم عليه أن يحذرهم وينبههم إلى الخطأ الذي يرتكبونه وأن يأخذ بأيديهم إلى طريق الخير والسلام ، وفي الوقت ذاته حضر إليه قومه ليطلبوا منه أن يوصيهم وينصحهم كأنهم أحسُّوا بمرارته فأثلجوا صدره بطلبهم هذا, وفتحوا له الأبواب مشرعة لينطلق لسانه، بما كان يحتبس في داخله من مرارة وألم , ونكاد نستشف هذا الألم والمرارة من مفتاح وصيته لهم (ينظر: احمد زكي صفوت: 1/ 124.) حيث يقول((احمد زكي صفوت, ابي الفضل احمد بن محمد النيسابوري الميداني;2/ 183- 1/ 124، 2004، 1990م):

((يا معشر عدوان، كلفتموني بغيا، إن كنتم شرفتموني فإني أريتكم ذلك من نفسي فأنّى لكم مثلي ، افهموا ما أقول لكم، إنّه من جمع بين الحق والباطل ولم يجتمعا له، وكان الباطل أولى به، وإن الحق لم يزل ينفر من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق، يا معشر عدوان، لا تشمتوا بالذلة ولا تفرحوا بالعزة، فبكلِّ عيش يعيش الفقير مع الغنى، ومن يَرَ يوما يُرَ به، وأعدوا لكلِّ امرئ جوابه ، إن مع السفاهة الندامة والعقوبة نكال وفيها ذمامة، ولليد العليا العاقبة ، والقوذ راحة لا لك ولا عليك، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أنّ لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئا وجده، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريبا منه)).

تحليل النص: جاءت الوصية بمعنى النصح والإرشاد والتوجيه، وهي عبارة عن كلام قوي ومؤثر، يحث على السلوك الصالح والمفيد ،إذ نلحظ أن الموصي يبدأ وصيته بخطاب مباشر لأقرانه باستخدام حرف النداء "يا معشر عدوان"، وهذه العبارة تعبر عن مدى تأثرنا بكلامه وبهذا يقصد تحديد هدف الوصية وتوجيهها بأفكار محددة، فيسهم هذا الأسلوب في تحقيق الصلة بين اجزاء البيت الشعري من خلالهِ يأتي الشعراء به بصيغ وتراكيب لغوية سواء أكانت خبرية ام انشائية لتعزز معنى النداء وتقوي موضعه في الكلام ممّا يستوجب على المتلقي حينها الاستجابة لأداء الفعل المقصود بصيغة النداء (ينظر:علي اسماعيل جاسم السامرائي:107، 2007م) ، ونجد أن الموصي يستخدم جمل قصيرة ومركزة تعطي معاني ودلالات عميقة، ممّا يظهر اعتماده على نفسه فلا يوجد في قومه رجلٌ مثله .

أما في قوله : (افهموا عني ما أقول لكم، من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به، وان الحق لم ينفر من الباطل ولم يزل الباطل ينفر من الحق)، نلحظ استخدامه فعل الأمر المباشر(افهموا) لشد انتباه السامع ، وفيه نوع من الزجر لسوء ما آلت إليه أحوال القبيلة بعد النفاق

والجدل والتباس الباطل بالحق والعكس، فضلاً عن ذلك نجد توظيف الحوار الذي كان أقرب إلى طريقة القصة ونرى ذلك واضحاً بسبب انفعاله وإحساسه المؤلم على ما جرى لقومهِ .

ونجد الشاعر يعتمد في وصيته إلى استخدام أداة النفي (لم) لتأكيد النفي وجزمه ، فالحق والباطل لم يجتمعا ولن يجتمعا في أي زمن من الأزمان ، فنجد هنا رؤية مستقبلية، ولم يكن بإمكانه استخدام (لا) النافية لأن النفي غير مؤكد ودلالته على أن الحق والباطل قد يجتمعان تحت ظرف من الظروف ، ثم كرر استخدام أداة النفي (لم) في قوله (وان الحق لم يزل ينفر من الباطل)، ونلاحظ أنه استخدم قبلها حرف التوكيد (أن) لزيادة التأكيد ، فضلا عن ذلك فقد ركز على قضية التكرار ليؤكد على قومه الالتزام والاهتمام بمعانيه وحرصه على إيصالها إلى قومه ، وجمع أيضا الثنائيات الضدية في أسلوب أدبي سياقي وذلك في قوله (الحق– الباطل).

ويعود الموصي لينهى قومه عن الالتفات إلى الأمور التافهة التي لا تروي من عطش ولا تسبل من جوع باستخدام أسلوب النهي بلا الناهية والفعل المضارع ؛ لأنها تجعل الفعل الماضي يستمر إلى المستقبل البعيد بقوله : (لا تفرحوا بالعلق، ولا تشمتوا بالزلة، وبكلّ عيش يعيش الفقير، وأعدوا لكلّ أمر قدره، قبل الرماء تملأ الكنائن، ومع السفاهة الندامة، والعقوبة نكال وفيها ذمامه فلا تذموا العقوبة، واليد العليا معهما عافية، والقود راحة لا لك ولا عليك، وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أنّ لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، من طلب شيئا وجده، وإلا يجده يوشك أن يقع قريبا منه).

فالموصي يسرد مجموعة من الجمل القصيرة المركزة التي تجري مجرى المثل. يستثير من خلالها مواضيع مختلفة وكأننا به يريد تذكير قومه وتنبيههم إلى القيم والعادات والتقاليد التي شرعوا بنسيانها فهو يعطي لقومه خلاصة تجاربه المركزة في هذه الاقوال الجارية مجرى الحكم والامثال.

أما لغته ففي نهاية الوصية نجده ينهيها بحوار جميل وذلك يدل على سرعه بديهته وارتجاله، إذ يأتي ذلك عن ذوق أدبي رفيع وأسلوب فني، أما من حيث الطول والقصر فنلاحظ أن السمة الغالبة عليه هي القصر ، وذلك لطبيعة الوصايا البسيطة التي يغلب عليها الجانب الحكمي ، وأما من ناحية المضمون فأسلوبه يتسم بسمات متعددة أهمها الإيجاز وقصر الفقرات ، فضلا عن ذلك نرى أنه اهتم بمعانيه اهتماما كبيرا وحرصه على إيصالها لقومه لأنها نابعة من تجاربه الخاصة.

وفي وصية أخرى لابنته وقد خطبت ابنته فعمة بنت عامر: إذ يقول :

خطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب العدواني ابنته عمرة فقال: "**ياصعصعة إنك جئت تشتري مني كبدي، وأرحم ولدي عندي، منعتك أو بعتك النكاح خير من الأيمة ، والحسيب كفء الحسيب، والزوج الصالح أب بعد أب، وقد أنكحتك خشية ألا أجد مثلك، أفرّ من السر إلى العلانية، أنصح ابنا، وأودع، ضعيفا قويا**" (احمد زكي صفوت:1/ 19، 1990م).

تحليل النص: جاءت الوصية لزوج ابنته عامر حينما جاء صعصعة بن معاوية لخطبتها وهو يوصيه بها لأنها قرة عينه وفلذه كبده وما هو أعز وأقرب إلى قلبه فهي المؤنسة الغالية له ولا يطيق أذاها ، وقد اوصاهُ بها ذلك لأنه لا يجد أفضل وأنصح منه ، وعليه نلحظ أنه دائما ما تكون وصية الأبناء لأبنائهم محملة بالمشاعر والأحاسيس الجياشة ، وتعتمد على إثارة العاطفة إضافة إلى ما تحمله من معنى النصح للزوج، ونلحظ أن الشاعر ابتدأ حديثه بتوظيف يا النداء التي تستخدم لمنادى البعيد على الرغم من قرب صعصعة منه ؛ ليرفع من شأنه ومن شأن ابنته فضلاً عن ذلك نجد أن السجع حيث التقت أواخر الكلمات في قوله: (منعتك، بعتك، مثلك، حسيب، اب، ابنا، قويا) ، وكل هذا أعطى وقعاً موسيقياً يزيد من جمالية النص ويعمل في الوقت ذاته على ترسيخ العبارات والألفاظ في الذهن، وبالمقابل يتخذ الشاعر من التضاد علامة فارقة حيث يعزّز هذا التضاد مقدرة الشاعر اللغوية، لأنه عندما يأتي بالصفة ونقيضتها تكون لغته وبلاغته أقوى (مصطفى يونس الضايع:149، 2015م)، وأثبت ذلك بصفات متناقضة من القوة والضعف والخفاء الذي تمثل بالسر والعلانية ، ويتبين لنا أن هذه الوصية الاجتماعية كانت من أجمل الوصايا التي وصلت إلى كل متلقي لأنها قريبة إلى النفس.

وفي موضع آخر يتابع فيه إكمال وصيته حيث يقبل على قومه بعد موافقته لخطبة ابنته من صعصعة قائلاً:

" **يا معشر عدوان: أخرجت من بين أظهركم كريمتكم، على غير رغبة عنكم، ولكن من خط له شيء جاءه، رب زارع لنفسه حاصد سواه ولولا قسم الحظوظ على قدر الجدود، ما أدرك الآخر من الأول شيئا يعيش به، ولكن الذي أرسل الحيا، أنبت المرعى، ثم قسمه أكلا لكل فم بقلة، ومن الماء جرعة، إنكم ترون ولا تعلمون، لن يرى ما أصف لكم إلا كلّ ذي قلب واعٍ، ولكل شيء راع، ولكل رزق ساعٍ، إما أكيس وإما أحمق، وما رأيت شيئا إلا سمعت حسه، ووجدت مسه، وما رأيت موضوعا إلا مصنوعا، وما رأيت جائيا إلا داعيا، ولا غانما إلا خائبا، ولا نعمة إلا ومعها بؤس، ولو كان يميت الناس الداء، لأحياهم الدواء، فهل لكم في العلم العليم؟ قيل ما هو؟ قد قلت**

فأصبت، وأخبرت فصدقت، فقال: أمورا شتى، وشيئا شيًّا حتى يرجع الميت حيا، ويعود لا شيء شيا، ولذلك خلقت الأرض والسموات، فتولوا عنه راجعين فقال ويلمها، نصيحة لو كان من يقبلها"((احمد زكي صفوت:1/ 19، 1990م)

يحمل النص عددا من الإشارات حيث يكمل الشاعر وصيته السابقة ويتبعها بإعلان لقومه على خطبة ابنته وأن كلّ راعٍ مسؤول عن رعيته بما يحمل، فضلا عن ذلك قد وظف العدواني الأساليب البلاغية من حيث الإخبار والحوار الداخلي في النص وذلك بقوله : (قلت–قالوا– فقال –قلت) هذا الحوار الداخلي عزّز التقابل الصوتي وتعدد الأصوات هو منحى شعراء العصر الجاهلي في هذا الأسلوب، إذ لا يخرج عن المألوف الذي استخدمه الشاعر العربي القديم، فأكثر من رواية الحوار مستعملاً أفعال القول ، وبذلك يبتعد عن التجسيم الدرامي بقدر ما اقترب من السرد القصصي (ينظر: عز الدين اسماعيل:298، 1966م)، ونلحظ أن أسلوب الوصية يعتمد على الإدراك وتحمل المسؤولية ويتبين لنا ذلك من خلال الألفاظ والعبارات السلسلة القوية، وقد تنوعت الأساليب الإنشائية من حيث الأمر والنهي والاستفهام التي بينت قدرة الشاعر وبلاغته، ولتقوية المعنى ركز على التضاد والجناس الذي يترك وقعا موسيقيا في الذهن وذلك بقوله : (الحياة– الموت)(الرجوع– العودة)(النعمة – البؤس)، فكانت الوصية في العصر الجاهلي تحافظ على ذكر السابقين ويسير عليها الأبناء محتفظين بتراثهم وإرثهم من الوالدين .

ومن وصايا حكام العرب إلى أبنائهم وصية ذي الإصبع العدواني لابنه أُسيد؛ إذ يقول فيها:

"**يا بُني إنَّ أباكَ قد فنيَ وهو حيّ ، وعاشَ حتى سئِم العيش، وإني مُوصيكَ بما إن حفظتَهُ بلغتَ في قومكَ ما بلغتَه ؛ فاحفظْ عني، أَلِنْ جَانِبَكَ لَقَومِكَ يُحِبُّوكَ، وَتَوَاضَعْ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ، وَابْسُط لهم وجْهَكَ يُطِيعُوكَ، وَلَا تَسْتَأْثِرَ عَلَيْهِم بِشَيْءٍ يُسَوِّدُوكَ، وَأَكْرِمْ صِغَارَهُم كَمَا تُكْرِمْ كِبَارَهُم يُكْرِمَكَ كِبَارُهُم، وَيَكْبُرُ عَلَى مَوَدَتِكَ صغارهم واسْمَحْ بمالك، واحم حريمك ، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ؛ فإن لكَ أجلا لا يعدُوكَ ! وَصَنْ وَجْهَكَ عن مسألةِ أحدٍ شيئًا ؛ فَبِذلِكَ يُتَمَّ سُؤدُدُكَ**" (عبد الوهاب محمد علي العدواني:71–72، 1996م).

تحليل النص: قِيلت هذه الوصية عندما كان عامر بن الظرب يُحتَضر، وقد بيَّن فيها الشاعر خلاصة حياته ، بدأ الشاعر بالنداء "يا" مع اقتراب ابنه منه، ليعبر عن مكانته ويرفعها أمامه، وأضاف كلمة (بُني) للتعبير عن حبه له ، وفي الوصية نلاحظ توصيته بما علمه وأهمية ما قدمه له في حياته ، ويطلب منه أن يحرص على تنفيذ معظم وصاياه ، فإذا عمل بما علمه زاد ذلك من

قدرته ورفع مكانته بين قومه . كما ينصحه بأن يكون مبتسمًا دائمًا، لأن الابتسامة تفتح الصدور وتؤثر على الآخرين ، بالإضافة إلى ذلك ؛ يجب عليه أن يكون كريمًا ويطعم الصغار والكبار، وأن يتواضع أمامهم ويكون لطيفًا ولينًا، فعندما يحترم الإنسان قومه ويتواضع أمام الناس يزيد ذلك من قدره ومكانته، وبهذا يمكن القول إنّ موضوع الوصية واقعي والخيال فيها قليل، ويعود ذلك إلى أنها مستمدة من القلب، إذ تتميز بصدقها وحفاوتها، وفضلاً عن ذلك فإنّ الأساليب المستخدمة فيها بسيطة وغير متكلفة، وعلى الرغم من بساطتها فإنها تحمل معاني عميقة وتدفقًا.

وعليه يمكن القول إن العصر الجاهلي يدور في وصاياه حول معانٍ ثابتة تثبت عليها أصول الحياة الاجتماعية (ينظر: شيماء عثمان: 222)، فضلا عن ذلك رسم الشاعر طريقه ليبين أهمية الخلق والتواضع في صوره لوصاياه ليؤكد الحركة المتخيلة في ذهن المتلقي فضلا عن لغته السهلة الواضحة في فهم الفنون البلاغية والبيانية المرتبة بسلاسة (ينظر: مراد 112) .

الخاتمة :

وفي الختام توصلنا إلى أهم النتائج :

1- دارت الوصية على القيم والأخلاق التي يتبعها الموصون وبثها وإذاعتها بين المتلقين.

2- بلغت الوصية أوجها وقفزت إلى الصدارة ببزوغ فجر الإسلام.

3- نلحظ أن أغلب الوصايا جاءت بمعنى النصح والإرشاد وهي تدخل من ضمن فنون الخطابة فضلا عن ذلك فهي تمثل الواقع حيث يلتزم الشاعر بالواقعية ويبتعد عن الخيال خاصة في وصاياه .

4- عامر بن الظرب كان من أهم الحكماء لا سيما في تناوله الفنون النثرية فهو حكيم العرب وقد أفاض نثره عن سيل غدق من الوصايا والتوجيهات السديدة لقومه.

5- أدب عامر بن الظرب يمثل أدب صفوة الرجال امتازوا بصدق حكمتهم وجمال أسلوبهم. إضافة إلى ذلك قدرتة في توظيف الأساليب البلاغية والبديعية التي بينت قدرته البلاغية في الإيجاز والاختصار.

6- ظل العدواني يدعو إلى تحقيق وصايا الإسلام من خلال الأحكام العادلة ويبين كيف تأثر الناس بالكرم والتضحية والتواضع والمحبة .

المصادر والمراجع :

1- ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف، ط5.

2- ابن منظور، لسان العرب، اعتنى بتصحيحها: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار احياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت- لبنان،ط3، 1999م.
3- أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري الميداني، مجمع الأمثال ، تحقيق نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان،ط2، 2004م.
4- احمد امين مصطفى، أدب الوصايا في العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع ، مكتبة الانجلو المصرية، د.ط .
5- أحمد بن فارس بن زكريا (ت395ه)،مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ط.
6- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المؤلف: المكتبة العلمية بيروت- لبنان - 1990م.
7- أسامة بن منقذ، لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار تراثية للنشر والتوزيع،ط1، 1354هـ.
8- الجاحظ ،البيان والتبيين، مكتبة الخانجي بالقاهرة،ط7، 1998م.
9- حذيفة عبد الله عزام، الوصايا في الادب الأندلسي، إشراف: د. صلاح جرار، الجامعة الأردنية ، كلية الدراسات العليا،2007م.
10- خير الدين الزركلي، الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط15، 2002م.
11- د. رسول حمود حسن، ذو الحلم عامر بن الظرب العدواني أخباره وما بقي من خطبه وأقواله، ، كلية الآداب، مجلة الجامعة الإسلامية، عدد2/24.
12- شيماء عثمان محمود، بلاغة الإيغال في الشعر الجاهلي، د. بحوث اللغات، كلية التربية بنات، مجلد 1، العدد 1، 2017م.
13- صلاح الدين الهادي ،الأدب في عصر النبوة والراشدين، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط3، 1987م.
14- عبد الوهاب محمد علي العدواني، ديوان ذي الأصبع العدواني ، تحقيق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1996م.
15- العلامة أبو جعفر محمد بن حبيب، كتاب المحبر، اعتنت به الدكتورة إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت- لبنان، د.ط.
16- علي إسماعيل جاسم السامرائي، مستويات البناء الشعري عند ابن جبير الأندلسي، رسالة ماجستير، إشراف أ. م. د. اسماء صابر جاسم التكريتي ، جامعة تكريت، كلية التربية، 2007م.
17- علي حسين محمد التمر، الوصايا في عصر صدر الإسلام، جامعة الموصل، كلية التربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، كانون الثاني، مجلد20، العدد1.
18- عمر فروخ ،تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط4، 1981م.
19- مراد كافي، محمد شيرين تشكار، اللغة الروائية عند قاسم توفيق، مجلة بحوث اللغات، كلية التربية للبنات، المجلد 2، العدد 3، 2019م
20- المرتضى علي بن الحسين العلوي، أمالي الرضى غرر الفوائد ودرر القلائد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1954م.
21- مصطفى يوسف الضايع، الإيقاع الداخلي في شعر أبي العلاء المعري (الجناس والطباق أنموذجا)، ، مجلة جامعة البعث، المجلد(37)، العدد(10)، 2015م.

REFERENCES:

1-Ibn Hazm Al-Andalusi, Jamharat Ansab Al-Arab, edited by Abdul Salam Muhammad Harun, Dar Al-Maaref, 5th edition.
2-Ibn Manzur, Lisan Al-Arab, edited by: Amin Muhammad Abdul Wahhab and Muhammad Al-Sadiq Al-Ubaidi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, Arab History Foundation, Beirut-Lebanon, 3rd edition, 1999.
3-Abu Al-Fadl Ahmad bin Muhammad Al-Naysaburi Al-Maydani, Majma' Al-Amthal, edited by Naim Hussein Zarzur, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 2nd edition, 2004.

4-Ahmad Amin Mustafa, Adab Al-Wasaya in the Abbasid Era to the End of the Fourth Century, Anglo-Egyptian Library, no date.

5-Ahmad bin Faris bin Zakariya (d. 395 AH), Meqayis Al-Lughah, edited and corrected by: Abdul Salam Muhammad Harun, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, no date.
6-Ahmad Zaki Safwat, Jamharat Khutbah Al-Arab in the Flourishing Eras of Arabic, author: Al-Maktaba Al-Ilmiyyah, Beirut-Lebanon, 1990.
7- Osama bin Munqidh, Lubab Al-Adab, edited by: Ahmed Mohammed Shaker, Dar Tarathiya for Publishing and Distribution, 1st ed., 1354 AH.
8-Al-Jahiz, Al-Bayan wa Al-Tabyeen, Al-Khanji Library in Cairo, 7th ed., 1998 AD.
9-Hudhayfah Abdullah Azzam, The Commandments in Andalusian Literature, Supervised by: Dr. Salah Jarar, University of Jordan, College of Graduate Studies, 2007 AD.
10-Khair Al-Din Al-Zarkali, Al-A'lam, Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 15th ed., 2002 AD.
11-Dr. Rasool Hamoud Hassan, Dhu Al-Hilm Amer bin Al-Dharb Al-Adwani, His News and What Remains of His Speeches and Sayings, Faculty of Arts, Journal of the Islamic University, Issue 24/2.
12-Shaimaa Othman Mahmoud, The Rhetoric of Exaggeration in Pre-Islamic Poetry, Dr. Language Research, College of Education for Girls, Volume 1, Issue 1, 2017 AD.
13-Salah al-Din al-Hadi, Literature in the Age of Prophethood and the Rightly-Guided, Al-Khanji Library, Cairo, 3rd ed., 1987.
14-Abdul-Wahhab Muhammad Ali al-Adwani, Diwan Dhi al-Asba al-Adwani, edited by: Abu al-Qasim Sad Allah, Dar al-Gharb al-Islami, 1st ed., 1996.
15-Allama Abu Jafar Muhammad ibn Habib, The Book of the Inkwell, edited by Dr. Ilse Lichtstein, Dar al-Afaq al-Jadidah, Beirut-Lebanon, 1st ed.
16-Ali Ismail Jassim al-Samarrai, Levels of Poetic Structure in Ibn Jubayr al-Andalusi, Master's Thesis, Supervised by Asst. Prof. Dr. Asmaa Saber Jassim al-Takriti, Tikrit University, College of Education, 2007.
17-Ali Hussein Muhammad al-Tamr, Commandments in the Era of Early Islam, Mosul University, College of Education, Tikrit University Journal for Humanities, January, Volume 20, Issue 1.
18-Omar Farroukh, History of Arabic Literature, Dar al-`Ilm lil-Malayin, 4th ed., 1981.
19- Murad Kafi, Muhammad Shirin Tashkar, The Narrative Language of Qasim Tawfiq, Journal of Language Research, College of Education for Girls, Volume 2, Issue 3, 2019
20-Al-Murtada Ali bin Al-Hussein Al-Alawi, Amali Al-Ridha, Ghurar Al-Fawaid and Durar Al-Qala'id, edited by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiya, 1st ed., 1954
21-Mustafa Youssef Al-Daie, Internal Rhythm in the Poetry of Abu Al-Ala Al-Ma'arri (Paranoid and Antithesis as a Model), Al-Baath University Journal, Volume (37), Issue (10), 2015.